بُنَاة دَوْلَـة الإسْلام

- ١٦ -



بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِابنِ عَمِّهِ عَقِيلِ بْنِ أَبي طَالِبٍ: «**يَا أَبا يَزِيدَ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ، حُبَّاً لِقَرَابَتِكَ، وَحُبَّاً لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ**».

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ على نَهْجِهِ إلى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

لَقَدْ طَغَى عَلَى شُهْرَةِ عَقِيلِ بنِ أبي طَالِبٍ أَخَوَاهُ عَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ لِسَابِقَتِهِمَا في الإِسْلامِ، وَكَانَ تَأَخُّرُهُ سَبَباً في جَعْلِهِ بَيْنَ عِدادِ المَنْسِيِّينَ.

كانَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تِسْعَةُ أَعْمَامٍ مِنْهُمْ مَنْ أَدْرَكَ الإِسْلاَمَ وَدَخَلَ فِيهِ، وكَانَ لَهُ دَوْرُهُ مِثْلُ الحَمْزَةِ والعَبَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وَمِنْهُمْ مَنْ ماتَ على ما كَانَ عَلَيْهِ آباؤُهُ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ، وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْ أَعْمَامِهِ عَدَدٌ مِنَ الأَبْنَاءِ، أَسْلَمَ أَكْثَرُهُمْ، وإِنْ كانَ بَعْضُهُمْ قَدْ آمَنَ مُنْذُ بِدايَةِ الدَّعْوَةِ، ومِنْهُمْ مَنْ تَأَخَّرَ فِي إسْلاَمِهِ حَتَّى دَانَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا فَعِنْدَهَا دَخَلَ بالإِسْلاَمِ، لِذَا فَقَدِ اشْتَهَرَ بَعْضُهُمْ وَعُرِفَ لِمَا قامَ بِهِ مِنْ دَوْرٍ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ يَوْمَ كَانَ الأَصْحَابُ قِلَّةً، وَمِنْ

هَؤُلاءِ جَعْفَرٌ وَعَلِيٌّ ابنا أَبِي طَالِبٍ، وَمِنْهُم مَنْ تَأَخَّرَ أَمْثَالُ أَخِيهِمْ عَقِيلٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ زَادَ تَأَخُّرُهُ أَمثالُ عَبدِاللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ بنِ عبدِالمُطَّلِبِ، وعُتْبَةَ ومُعَتِّبٍ ابنَيْ أَبِي لَهَبٍ، وبِذا يُعْرَفُ المَرْءُ مِنَ النَّاسِ، وَيَشْتَهِرُ الذِي يَتَحَمَّلُ العِبْءَ وَقْتَ الشِّدَّةِ والضِّيقِ ويُضَحِّي في سَبِيلِ ما يَحْمِلُ مِنْ فِكْرَةٍ، على حِينِ يَضِيعُ أُولئكَ الَّذِينَ يَتَرَاكَضُونَ وَقْتَ الرَّخاءِ عِندما يَكْثُرُ النَّاسُ، وَيَنْدَفِعُونَ نحوَ إِظْهارِ التَّأْيِيدِ والمُوافقَةِ لِلدَّعْوَةِ.

كَانَ أَعمامُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أُمَّهاتٍ عِدَّةٍ، وإِنَّ الزُّبَيْرَ وَأَبا طَالِبٍ كانا أَشِقَّاءَ عَبدِاللَّهِ وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُمُّهُمْ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو المَخْزُومِيَّةُ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لِعَبْدِالمُطَّلِبِ أَيضاً بَنَاتِهِ كُلَّهُنَّ ما عَدا صَفِيَّةَ الَّتِي هِيَ شَقِيقَةُ الحَمْزَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأُمُّهُمَا هِيَ هَالَةُ بِنْتُ وُهَيْبٍ الزُّهْرِيَّةُ.

تَزَوَّجَ أَبو طَالِبٍ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِمَنَافٍ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لَهُ مِنَ الأَوْلادِ طَالِباً، وَعَقِيلاً، وَجَعْفَراً، وَعَلِيّاً. وَبَيْنَ كُلِّ وَلَدٍ وآخَرَ ما يَقْرُبُ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ، أَكْبَرُهُمْ طَالِبٌ الَّذِي تَقْرُبُ سِنُّهُ مِنْ سِنِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْغَرُهُمْ عَلِيٌّ الَّذِي تَقِلُّ سِنُّهُ عَنْ

سِنِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِحَوَالَيَ الثَّلاثِينَ سَنَةً. وكانَ أَبُو طَالِبٍ فَقِيراً، كَثِيرَ العِيَالِ، وَكَانَ عَقِيلٌ أَحَبَّ وَلَدٍ إلى أبيهِ.

وَشَبَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَزَوَّجَ مِنْ خَدِيجَة بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَتَحَسَّنَتْ حَالَتُهُ المَادِّيَّةُ، وَتَذَكَّرَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وما يُعَانِيهِ مِنَ الضِّيقِ، فَذَهَبَ إلَى عَمِّهِ العَبَّاسِ، وَكَانَ أَثْرَى بَني هَاشِمٍ، فَذَكَّرَهُ بِأَخِيهِ أَبي طَالِبٍ، وَكَثْرَةِ عِيَالِهِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَاعِدَاهُ بِتَرْبِيَةِ بَعْضِ وِلْدِهِ، فَسَارَا إلَيْهِ، وَطَلَبَا مِنْهُ ما قَرَّراهُ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لَهُمَا: خُذا ما شِئْتُما وَدَعَا لي عَقِيلاً. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلِيَّاً، وَأَخَذَ العَبّاسُ جَعْفَراً، فَكَانَا عِنْدَهُما.

تَزَوَّجَ عَقِيلٌ أُمَّ سَعِيدٍ بِنْتَ عَمْرِو بنِ يَزِيدَ فَأَنْجَبَتْ لَهُ يَزِيداً، وَسَعِيداً، وَكَانَ يُكَنَّى بِأَبِي يَزِيد، كما تَزَوَّجَ أُمَّ البَنِينَ بِنتَ الثَّغْرِ، وكانَ لَهُ مِنْها جَعْفَرٌ الأكبرُ وأَبو سَعِيدٍ، وَوَلَدَ لَهُ عَدَدٌ مِنَ الأَوْلادِ والبَنَاتِ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّهاتِ أَوْلَادٍ، آشْتَهَرَ مِنْهُمْ مُسلمُ بنُ عَقِيلٍ الذي بَعَثَهُ الحُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مِنْ مَكَّةَ إلى الكُوفَةِ لِيَأْخُذَ لَهُ العَهْدَ مِنْ أَهْلِهَا، فَنَزَلَ على هَانِيءِ بنِ عُرْوَةَ المُرَادِيِّ، إلَّا أَنَّ أَمْرَهُما قَدْ آنْكَشَفَ

عَلَى وَالِي الأُمَـوِيِّين عُبَيْدِاللَّهِ بنِ زِيَـادٍ فَتَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِهِمَـا. وَمِنْهُمْ عَبْدُاللَّهِ، وعبدُالـرَّحْمَنِ، وَعَبْدُاللَّهِ الأَصْغَـرُ، وعليٌّ، وَجَعْفَرٌ الأَصْغَرُ، وَحَمْزَةُ، و عُثْمَانُ، وَمُحَمَّدٌ، وَمِنَ البَنَاتِ: رَمْلَةُ، وأُمُّ هَانِيءٍ، وأَسْمَاءُ، وفَاطِمَةُ، وأُمُّ القَاسِمِ، وَزَيْنَبُ، وَأُمُّ النُّعمَانِ.

وَعِنْدَمَا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَـدَأَ يَدْعُو النَّاسَ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَسْلَمَ أَخَوَاهُ الصَّغِيرَينِ جَعْفَرٌ وَعَلِيٌّ، وَلَكِنَّ عَقِيلاً تَأَخَّرَ في قَبُولِ الدَّعْوَةِ وَبَقِيَ عَلَى دِينِ أَبِيهِ أبي طَالِبٍ الَّذي كَانَ سَيِّدَ بَني هَاشِمٍ، لِذَا فَقَدْ بَرَزَ أَخَوَاهُ وآشْتَهَرا، عَلَى حِينَ أُغْفِلَ هُوَ لِتَأَخُّرِهِ في الاسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.

تُوُفِّيَ أَبُو طَـالِبٍ، وَهَاجَـرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، إلى المَـدِينَـةِ وَلَمْ يُسْلِمْ عَقِيـلٌ، وآسْتَـدَارَ العَـامُ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ إلى بَدْرٍ تُرِيدُ إنقَاذَ شَرَفِها، وَحِمَايَةَ عِيرِها، وَتَـأْدِيبَ المُسْلِمِينَ ـ عَلَى حَدِّ زَعْمِهـا ـ، وَسَارَ في الجَيْشِ أَشْرَافُ قُرَيْشٍ وَرِجَالاتُها ما عَدَا بَنِي هَـاشِمٍ، فَقَدْ رَفَضـوا الخُرُوجَ إلَّا أَنَّهم قَدْ أُكْرِهُوا عَلَيْهِ، وَخَرَجَ فِيمَنْ خَرَجَ مُكْرَهاً عَقِيلُ بنُ أَبي طَالِبٍ، فَشَهِدَ المَعْرَكَةَ، وَأُسِرَ فِيها، وَكَانَ فَقِيراً

لا مَـالَ لَهُ لِيَفْتَـدِيَ بِهِ نَفْسَـهُ، وَقَدْ قَبِـلَ مِنْهُمْ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، الفِدْيَـةَ، فَافْتَـدَاهُ عَمُّـهُ العَبَّـاسُ بنُ عَبْدِالمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنَّ بَني هَاشِمٍ قَدْ خَرَجُوا مُكْرَهِينَ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: إنِّي قَدْ عَرَفْتُ أنَّ رِجَالاً مِنْ بَني هَاشِمٍ وغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كَرْهاً، لا حَـاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أحداً مِنْ بَني هَاشِمٍ فَلاَ يَقْتُلْهُ، وَمَنِ لَقِيَ أبَـا البَخْتَرِيَّ بنَ هِشَـامِ بنِ الحَارِثِ بنِ أَسَـدٍ فلا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بنَ عَبْدِالمُطَّلِبِ ـ عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَلاَ يَقْتُلْهُ، فإنَّهُ إنَّما خَرَجَ مُسْتَكرَهاً، فَقَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ: أَنَقْتُلُ آباءَنـا، وَأَبْنَاءَنـا، وإخْوَتَنا، وَعَشِيرَتَنا وَنَتْـرُكُ العَبَّاسَ! واللَّهِ لَئِنْ لَقِيتُـهُ لأُلْجِمَنَّهُ السَّيْفَ، فَبَلَغَتْ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَقَالَتُهُ، فَقَالَ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: «يا أَبَا حَفْصٍ[1] أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالسَّيْفِ؟» فَقَالَ عُمَرُ: يا

(١) قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: والله إنه لأول يومٍ كناني فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأبي حفص.

رَسُـولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَـلأَضْـرِبْ عُنُقَـهُ بـالسَّيفِ، فَـوَاللَّهِ لَقَـدْ نَافَقَ[1].

وَقَـالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، يَـوْمَ بَـدْرٍ: «ٱنْظُرُوا مَنْ هَا هُنَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مِنْ بَنِي هَـاشِمٍ»، فَجَاءَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَـالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَنَـظَرَ إلى العَبَّاسِ، وَنَوْفَلٍ، وَعَقِيلٍ ثُمَّ رَجَعَ، فَنَـادَاهُ عَقِيلٌ: يـا ٱبنَ أُمِّ عَلِيٍّ، أَما واللَّهِ لَقَدْ رأيتَنا. فَجاءَ عَلِيٌّ إلى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ العَبَّـاسَ، وَنَوْفَـلاً، وَعَقِيلاً، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ عَقِيلٍ فقَالَ: «أَبا يَزيدَ قُتِلَ أَبو جَهْلٍ»، قَالَ: إذَنْ لا يُنَـازِعُوا في تِهـامَـةَ إنْ كُنْتَ أَثْخَنْتَ القَـوْمَ وإلاَّ فَـٱرْكَبْ أَكْتَافَهُمْ. وَقَالَ عَقِيلٌ للنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَتَلْتَ مِنْ أَشْرافِهِمْ؟ قَالَ: «قُتِلَ أَبو جَهْلٍ»، قال: الآن صَفَا لَكَ الوَادِي.

وَقَـالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، لِلْعَبَّاسِ بنِ

---

(١) كان أبو حذيفة يقـول: ما أنـا بآمن من تلك الكلمـة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً، إلا أن تكفّرها عني الشهادة. وقـد استشهد يوم اليمامة، رضي الله عنه.

عَبْـدِالمُطَّلِبِ حِينَ ٱنْتَهَى بِـهِ إلى المَدِينَـةِ: «يا عَبَّـاسُ ٱفْدِ نَفْسَـكَ، وابنَ أَخِيـكَ عَقِيـلَ بنَ أبي طَـالِبٍ، وَنَـوْفَـلَ بنَ الحَـارِثِ، وَحَلِيفَـكَ عُقْبَـةَ بنَ عَمْـرِو بنِ جَحْدَمٍ أَخَـا بَني الحَارِثِ بنِ فِهْرٍ فإنَّك ذُو مَالٍ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنِّي كُنْتُ مُسْلِماً ولَكِنَّ القَوْمَ اسْتَكْرَهُوني. قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بإسْلاَمِكَ، إنْ يكُ ما تَذْكُرُ حَقّاً فاللَّهُ يَجْزِيكَ بِهِ، فَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنا، فَٱفْدِ نَفْسَكَ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَال العَبَّاسُ: يا رَسُـولَ اللَّهِ ٱحْسِبْها لِي مِنْ فِـدَايَ. قَالَ: «لا، ذَلِـكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللَّهُ مِنْكَ»، قَالَ: فَإنَّهُ لَيْسَ لي مَـالٌ، قَالَ: «فَـأَيْنَ المَالُ الذي وَضَعْتَ بِمَكَّةَ حِينَ خَرَجْتَ عِنْدَ أُمِّ الفَضْلِ بِنْتِ الحَارِثِ لَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ ثُمَّ قُلْتَ لَهَا: إنْ أُصِبْتُ في سَفَرِي هَذا فَلِلْفَضْلِ كَذَا وكَذَا، وَلِعَبْدِاللَّهِ كَذَا وكَذا؟» قَالَ: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عَلِمَ بِهَذا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرَها وإنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَفَدَى العَبَّاسُ نَفْسَهُ، وابْنَيْ أَخِيهِ، وَحَلِيفَهُ.

وَقِيلَ: إنَّ العَبَّاسَ فَدَى نَفْسَهُ وابنَ أَخِيهِ عَقِيلاً بِثَمَانينَ أوقيةً مِنْ ذَهَبٍ، وَيُقالُ أَلْفَ دِينارٍ. قَالوا: وَخَرَجَ العَبَّاسُ إلى مَكَّةَ فَبَعَثَ بِفِدَائِهِ وَفِداءِ ابنِ أَخِيهِ، ولَمْ يَبْعَثْ بِفِدَاءِ حَلِيفِهِ،

فَـدَعا رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَسَّـان بنَ ثَابتٍ وأَخْبَرَهُ وَرَجَعَ أبُو رَافِعٍ فَكَانَ رَسُولَ العَبَّاسِ بِفِدَائِهِ فقَالَ لَهُ العَبَّاسُ: ما قَالَ لَكَ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الأَمْرَ فقَالَ: وأَيُّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ هذا؟ آحْمِلِ البَاقِيَ قَبْلَ أَنْ تَحُطَّ رَحْلَكَ، فَحَمَلَهُ ففَدَاهُمُ العَبَّاسُ(١).

وَرَجَعَ عَقِيلُ بنُ أَبي طَالِبٍ إلى مَكَّةَ، وَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ أَحَدٌ إلَّا وَقَدْ أَسْلَمَ، قَالَ: «قُلْ لَهُمْ فَلْيَلْحَقُوا بي». فَلَمَّا أَتَاهُمْ عَقِيلٌ بِهَذِهِ المَقَالَةِ خَرَجُوا.

وَذُكِرَ أَنَّ العَبَّاسَ، وَنَوْفلاً، وَعَقِيلاً، رَجَعُوا إلى مَكَّـةَ، أُمِرُوا بِذَلِكَ لِيُقِيمُوا ما كَانُوا يُقِيمُونَ مِنْ أَمْرِ السِّقَايَةِ والرِّفادَةِ والرِّئاسَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَبي لَهَبٍ. وَكَانَتِ السِّقَايَةُ والرِّفادَةُ في الجَـاهِلِيَّةِ في بَنِي هَـاشِمٍ، ثُمَّ هَاجَـرُوا بَعْدَ ذَلِـكَ إلى المَدِينَةِ فَقدِمُوها بِأَوْلادِهِمْ وَأَهَالِيْهِمْ(٢).

يَبْدُو أَنَّ عَقِيلاً قَدْ عَاشَ في مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُ وَقَدْ أَسْلَمَ، وَلَمْ يَشْتَرِكْ مَعَ المُشْرِكِينَ في غَزْوَةٍ ثانِيَة، وَبَعْدَ

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) المصدر نفسه.

فَتْحِ خَيْبَرَ في السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَرَجَ عَقِيلُ إلى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ مُسْلِماً مُهاجِراً، وَقَدْ أَطْعَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَيْبَرَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ وَسْقاً كُلَّ سَنَةٍ. وَذَلِكَ لأَنَّ بَنِي هَاشِمٍ ومن بَيْنِهِمْ العَبَّاسُ وَعَقِيلُ كانوا بِمَكَّةَ يَوْمَ كانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِخَيْبَرَ قَدْ فَتَحَها، وَقَدِمَ الحَجَّاجُ بنُ عِلاطٍ السَّلَمِيُّ مَكَّةَ فَأَخبَرَ قُرَيْشاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بما أَحَبُّوا أَنَّهُ قَدْ ظُفِرَ بِهِ، وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، فَسُرُّوا بِذَلِكَ، وَأَقْطَعَ العَبَّاسَ خَبَرُهُ، وَسَاءَهُ، وَفَتَحَ بَابَهُ، وَأَخَذَ ابنَهُ قُثَمَ فَجَعَلَهُ على صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا قُثَمُ يا قُثَمُ يا شِبْهَ ذِي الكَرَمِ(١)

حَتَّى أَتاهُ الحَجَّاجُ فَأَخْبَرَهُ بِسَلامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ وَغَنَّمَهُ اللَّهُ ما فيها، فَسُرَّ بِذَلِكَ العَبَّاسُ وَلَبِسَ ثِيَابَهُ، وَغَدا إلى المَسْجِدِ فَدَخَلَهُ، وَطَافَ بِالبَيْتِ، وَأَخْبَرَ قُرَيْشاً بِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ الحَجَّاجُ مِنْ سَلامَةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهُ قَدْ فَتَحَ خَيْبَرَ، وَمَا

---

(١) نَعياً لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، وتذكراً له، إذ كان قثم يشبه ابن عمه رسول الله.

غَنَّمَـهُ اللَّهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. فَكُبِتَ المُشْـرِكُونَ وَسَـاءَهَمْ ذَلِكَ، وَعَلِمُوا أَنَّ الحَجَّاجِ قَدْ كَانَ كَذَبَهُمْ في خَبَرِهِ الأَوَّلَ، وَسَـرَّ ذَلِـكَ المُسْلِمِينَ الَّذين بِمَكَّـةَ وَأَتَوْا العَبَّـاس فَهَنَّؤُوهُ بِسَلاَمَـةِ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ خَـرَجَ بَعْـدَ ذَلِـكَ العَبَّاسُ فَلَحِقَ بالنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَطْعَمَهُ بِخَيْبَرَ مِـائَتَيْ وَسْقٍ تَمْراً في كُـلِّ سَنَةٍ[1]. بَيْنَمـا أَطْعَمَ عَقِيلاً مِـائَةً وَأَرْبَعِينَ وَسْقاً.

وَآنْطَلَقَ المُسْلِمُونَ إلى مُؤْتَةَ مُجاهِـدِينَ، وَخَرَجَ عَقِيـلٌ مَعَهُمْ، تَحْتَ رَايَةِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْتُشْهِدَ زَيْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأُنْهِكَ عَقِيلُ، وَتَسَلَّمَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بنُ أبي طَـالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، حَسَبَ وَصِيَّـةِ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ أَخِيهِ قِتَالَ الأَبْطَالِ، وَرَأى آسْتِشْهَادَ أَخِيهِ فَزَادَهُ ذَلِكَ آنْدِفَاعاً، وَحَارَبَ تَحْتَ إِمْرَةِ عَبْـدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَـةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ، وَكَـانَ في مُقَـدِّمَـةِ المُجَاهِدِينَ حَتَّى إذا اسْتُشْهِدَ عَبْدُاللَّهِ... آسْتَمَرَّ عَقِيلُ في قِتَالِهِ لا يَلِي عَلَى شَيْءٍ، يَرْغَبُ في الحُصُولِ عَلَى الشَّهَادَةِ

---

(١) طبقات ابن سعد.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُكَفِّرَ عَمَّا سَبَقَ أَنْ بَدَرَ مِنْهُ... وَتَسَلَّمَ الرَّايَةَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ ٱسْتِشْهَادِ عَبْدِاللَّهِ بنِ رَوَاحَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَٱسْتَطَاعَ أَنْ يُنَاوِرَ، وَيَنْسَحِبَ بِالمُسْلِمِينَ، وَيُجَنِّبَهُمْ هَزِيمَةً كَبِيرَةً، وَجُرِحَ عَقِيلٌ يَوْمَها عِدَّةَ جراحٍ.

وأصابَ عقيلُ يومَ مؤتةَ خاتماً فأتى بِهِ إلى رسولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنفله إياه، فكان في يده.

وَجَاءَ عَقِيلُ بِمِخْيَطٍ فقَالَ لامرأتِهِ: مَا أَرَى إِبْرَتَكِ إلاَّ وَقَدْ فَاتَتْكِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَهُ: «يا أَبَا يَزِيدَ إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ، حُبَّاً لِقَرَابَتِكَ وَحُبَّاً لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ».

وَبَعْدَ أَنْ رَجَعَ عَقِيلُ مِنْ مُؤْتَةَ لَمْ يَسْتَقِرَّ طَوِيلاً في المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ حَتَّى أَصابَهُ مَرَضٌ لَمْ يُمَكِّنْهُ مِنَ الجِهَادِ، وَحُضُورِ المَشَاهِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِذا نَراهُ لَمْ يَشْتَرِكْ في فَتْحِ مَكَّةَ، ولا في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ والطَّائِفِ.

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ

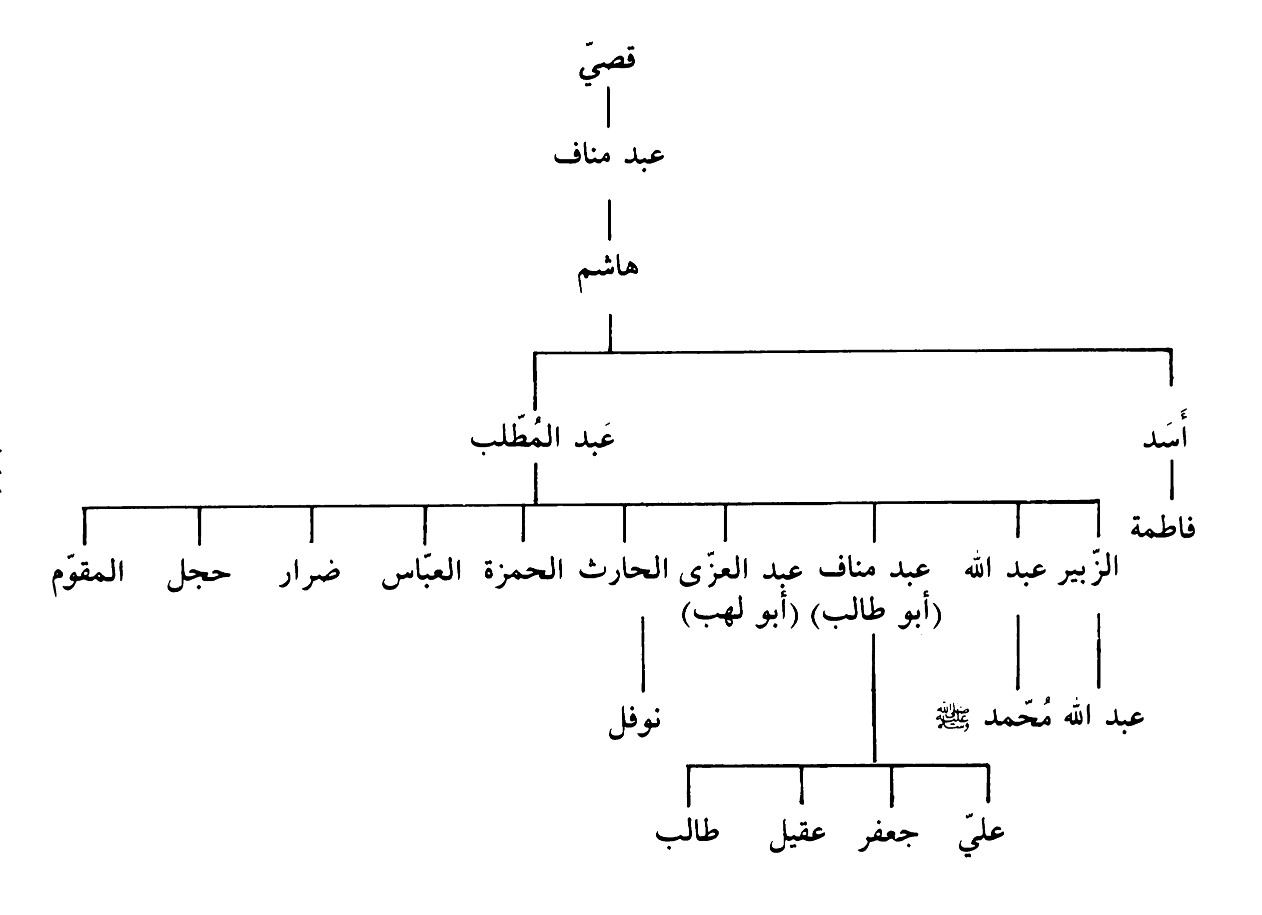
رَاضٍ ، وَعَاشَ عَقِيلُ بنُ أَبي طَالِبٍ بَعْدَهُ طَوِيلاً، وَلَمْ يُسْمَعْ عَنْهُ شَيْءٌ في عَهْدِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الثَّلاثَةِ أبي بَكْرٍ، وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَيَبْدُو أَنَّـهُ كَانَ مَـرِيضاً، عَلِيـلَ الجِسْمِ ، الأَمْـرُ الَّـذي جَعَلَهُ لَـمْ يَشْتَـرِكْ في الفُتُـوحَــاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَلَمْ يَظْهَرْ في الحَيَاةِ العَامَّةِ، وَجَدِيـرٌ بِأَمْثَـالِهِ أَنْ يَبْرُزَ .

وَيَبْرُزُ عَقِيلُ أَثناءَ خِلافَةِ أَخِيهِ عَلِيٍّ، وَيَـظْهَرُ اسمُـهُ في الخِلافِ الَّذي وَقَـعَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَـةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وَتُرْوَى أَخْبَارٌ لَمْ تَصِلْ إلى دَرَجَةِ الصِّحَةِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَثَرٌ في الخِلافِ الذي حَدَثَ، فيُرَوى أَنَّهُ قَدِمَ على أَخِيهِ بالعِرَاقِ فَسَأَلَهُ، فَقالَ: ما أُعْطِيكَ شَيْئاً. فَقالَ: إنِّي فَقِيـرٌ وَمُحْتَاجٌ. فَقالَ: آصْبِرْ حَتَّى يَخْـرُجَ عَطَائِي مِنَ المُسْلِمِينَ وَأُعْـطِيكَ. فَأَلَحَّ عَلَيْـهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ لِـرَجُلٍ: خُـذْ بِيَدِهِ وَآنْـطَلِقْ بِهِ إلى الحَوَانِيتِ، فَآفْتَحْ أَقْفَالَها، وخُذْ ما فِيها. فَقالَ عَقِيلُ: أَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ تَجْعَلَني سَارِقاً. فَقَـالَ عَلِيٌّ: أَنْتَ أَرَدْتَ أَنْ آخُذَ أَمْوَالَ المُسْلِمِينَ وَأُعْطِيَكَ إيَّاهـا. فَقالَ عَقِيـلُ: لَأَذْهَبَنَّ إلى رَجُلٍ هُوَ أَوْلى بي مِنْكَ، يَعني مُعَاوِيَةَ. فَقالَ: أَنْتَ وَذاكَ. فَذَهَبَ إلى مُعَاوِيَةَ فَأَعْطَاهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَقَالَ: آصْعَـدِ

المِنْبَرَ وَٱذْكُرْ ما أَوْلَاكَ عَلِيٌّ وَمَا أَوْلَيْتُكَ. فَصَعِدَ المِنْبَرَ وَقَالَ: أَيُّها النَّاسُ إنِّي أُخبِرُكُمْ أَنِّي أَرَدْتُ عَلِيًّاً عَلَى دِينِهِ فَاخْتَارَ دِينَهُ عَلَيَّ، وَإنِّي أَرَدْتُ مُعَاوِيَةَ على دِينِـهِ فَٱخْتَـارَني عَلَى دِينِهِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هذا الَّذي تَزْعَمُ قُرَيْشٌ أَنَّهُ أَحْمَقُ وَأَيُّما أَعْقَلَ مِنْهُ[1]. وَقِيلَ: إنَّ مُعَاوِيَةَ قَـالَ لَهُمْ: هَذا عَقِيـلٌ وَعمُّهُ أَبُـو لَهَبٍ، فَقَالَ: هَذَا مُعَاوِيَةُ وعَمَّتُهُ حَمَّالةُ الحَطَبِ. وَذَلِكَ لأَنَّهُ كانَ أَسْرَعَ النَّاسِ جَوَاباً فَنَسَبُوْهُ إلى الحَمَاقَةِ.

لَقَدْ عَمِيَ عَقِيلٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في آخِرِ حَيَاتِهِ، وَتُوُفِّيَ في خِـلَافَةِ مُعَـاوِيَـةَ عَـامِ ٥٠ هـ عَنْ عُمْـرٍ يُنَـاهِـزُ الثَّـالِثَـةَ والتِّسْعِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَاهُ.

(١) أغاليط المؤرخين: محمد أبو اليسر عابدين نقلاً عن حاشية الأمير على المغني لابن هشام في حرف الهـاء. وطبقات ابن سعـد، وسير أعلام النبلاء.


قصيّ
عبد مناف
هاشم
عَبد المُطّلب
أَسَد
فاطمة
الزّبير
عبد الله
عبد مناف (أبو طالب)
عبد العزّى (أبو لهب)
الحارث
الحمزة
العبّاس
ضرار
حجل
المقوّم
عبد الله
مُحّمد ﷺ
نوفل
عليّ
جعفر
عقيل
طالب